في عام ١٩٥٣، قام احد الدروز المتعاونين مع الحكم العسكري الاسرائيلي بترجمة مقتطفات من كتاب «اسحق بن-تسفي» للعربية، وقامت اسرائيل بتوزيع آلاف النسخ من هذا الكتاب على البيوت العربية الدرزية. وفي دراسته اعلن بن - تسفي «ان الدروز امة ذات طابع خاص ومصير خاص يفرقان بينها وبين سائر الامم. والأمة الدرزية [حسب تعبيره] من ناحية معينة تشبه الامة اليهودية في بعض خطواتها السياسية. فعندها ايضا نجد الدين والقومية متحدين معاً حتى يصعب التفريق بينهما كما تشبه هذه الأمة بتفرقها شعبنا اليهودي في شتاته».

يعلق جبرا نقولا، في مجلة الجديد ١٩٥٥، على قول «بن - تسفي» التالي: «إن اصل الدروز مزيج من اصل فارسي، ودم كردي، مع قبائل عربية قديمة من الخليج الفارسي» فيقول:

«اذن فما معنى كل هذا اللف والدوران حول اصلهم وهل هذا يميز الدروز عمن حولهم من الاهلين العرب؟ اليس كل هؤلاء العرب الذين يقطنون البلاد العربية من الخليج العربي حتى سواحل الاطلنطي ومن جبال طوروس حتى بحر العرب هم كذلك مزيج من قبائل عربية وشعوب اخرى تعربت تاريخيا؟ ولكن متى كان الاصل العنصري هو الذي يقرر القومية؟» ويضيف جبرا نقولا: «إذا اخذنا بنظرية الاصل العنصري هذه، لا نجد في العالم اليوم امة واحدة، فليس في العالم اليوم امة ترجع الى اصل عنصري خالص».

في عام ١٩٥٦، سنت اسرائيل قانون التجنيد الاجباري للشباب الدروز، انطلاقا من سياسة حلف الدم ونظرية الخصوصية، ولكن الدروز العرب رفضوا هذا القانون وناضلوا ضده، ففي العام نفسه قدمت عريضة الى اسحق بن-تسفي رئيس الدولة تحمل تواقيع ١٦٠٠ مواطن درزي فلسطيني يرفضون فيها سياسة التجنيد، وقاد حملة التواقيع الشيخ فرهود قاسم فرهود وهو شيخ وطني من مواليد ١٩١١ من مواليد قرية الرامة، درس في مدرسة القرية الابتدائية وانهى الصف السادس عام ١٩٢٤ وعمل كحجار في مقالع الصخور(٥).

في تموز ١٩٦٠ القت الشرطة القبض على الشاعر سميح القاسم الذي رفض الانصياع لقانون التجنيد قائلا: «انني كعربي أؤمن بعرويتي.. ارفض حمل البندقية، وان تجنيدي بالقوة سيحيلني الى مجرم.. وستكونون مسؤولين عن كل النتائج»(٦).

وبدأت حملة مركزة تركز على خصوصية الدروز وتبث افكار التفرقة بينهم وبين السنة والمسيحيين الفلسطينيين، وكان قائد الحملة هذه، الصهيوني «نسيم رجوان» رئيس تحرير جريدة اليوم الذي ركز في حملته، على قومية الدروز وخصوصيتهم وتشابههم مع اليهود. وقد رد عليه، يومها، فوزي الاسمر وراشد حسين وسلمان شحاده وغيرهم من الكتاب الفلسطينيين. وفي عام ١٩٦٠، ايضا، كتب الصحفي عاموس فريدمان دراسة في صحيفة «هاعولام هزية» تحت عنوان «محاولة كشف اسرار عقيدة الدروز»، وهذه العملية، يقول نبيه القاسم: «نبهت كل فرد درزي الى المخاطر التي تنتظره، فقامت التظاهرات في